الكرة والصولجان

كرةٌ وضعت لصولجةٍ فتلقفها رجلٌ رجلٌ

اللعب بالكرة والصولجان قديم جدًّا كان شائعًا في مصر والشام في زمن المماليك الى عهد غير بعيد ثم نسي امرهُ الى ان اعادهُ الضباط الانكليز في هذه الايام وهم يلعبونهُ في ميدان الكرة في الجزيرة وفي كثيرٍ من مدن السودان ويسمونهُ بولو Polo . ولا يعلم تاريخ اللعب بالكرة تمامًا ويقال ان على بعض الآثار المصرية والهندية رسومًا بارزة تمثل فرسانًا بايديهم الصولجة . والمشهور ان اصلهُ من بلاد الفرس فقد ذكر صاحب الاغاني ان عديًّا بن زيد كان يختلف مع ابن احد المرازبة الى الكتاب فتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من افهم الناس بها وافصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشاب فخرج من الاساورة الرماة وتعلم لعب الصحم على الخيل بالصولجة وغيرها . ولا يخفى ان عديًّا هذا كان في زمن الجاهلية

وجاء في بعض التواريخ اليونانية ان لعب الكرة والصولجان كان معروفًا عند الروم في القسطنطينية بلعبهُ القياصرة والامراء والخاصة منهم ويعدونهُ من الالعاب الشريفة وقد وصفهُ احد مؤرخيهم قال (١) «ينقسم جماعة من الفرسان الى فرقتين متساويتين عددًا ويضعون في ميدان اللعب كرةً من الجلد في حجم التفاحة ثم يأخذ كل واحد منهم عصًا في رأسها حلقة محبوكة بالخيوط كالشبكة ويطلق العنان لفرسهِ وهو يدفع الكرة بهذه العصا نحو غرض منصوب في طرف الميدان . ولكلٍّ من الفرقتين غرضٌ تُدفع الكرة اليهِ فالفرقة التي توصل الكرة الى غرضها اولاً في الغالبة . الى ان قال ولا يخلو هذا اللعب من الخطر لان على اللاعب ان يتقلب بفرسهِ ويميل في عدوهِ لاحقًا بالكرة اينما اتجهت » . ثم ذكر عددًا من الامراء قتلوا وهم يلعبون

وذكر الطبري في تاريخهِ ما يأتي « وكان اردشير بن بابك لما افضى اليهِ الملك اسرف في قتل الاشكانية الذين منهم كل ملوك الطوائف حتى افناهم ثم تزوج بجارية رآها في دار المملكة ولم يكن يعلم انها ابنة الملك المقتول من الاشكانية فحملت منهُ واخبرتهُ بعد ذلك انها من نسل الملك فنفر منها ودعا شيخ يثق بهِ وامرهُ بقتلها . الاَّ ان الشيخ اشفق عليها حتى وضعت غلامًا فسماهُ شابور وهو سابور الجنود عند العرب . وبقي اردشير بعد ذلك دهرًا لا يولد لهُ فحزن لذلك . ثم دخل عليهِ الشيخ بعد حين واخبرهُ ان ولدهُ حيٌّ فامرهُ اردشير ان يهيئهُ في مائة غلام من اترابهِ واشباههِ في الهيئة والقامة ثم يدخلهم عليهِ جميعًا لا يُفرق بينهم في زيٍّ

(١) قالهُ كانوميز في تاريخ المماليك

ولا قامة ولا ادب ففعل ذلك . فلما نظر اليهم اردشير قبلت نفسهُ ابنهُ من بينهم واستعلامهُ من غير ان يكون اشير لهُ اليهِ . ثم امر بهم جميعاً فاخرجوا الى حجرة الايوان فاعطوا صولجة فلعبوا بالكرة وهو في الايوان على سريرهِ فدخلت الكرة في الايوان الذي هو فيهِ فكاد الفلمان جميعاً ان يدخلوا الايوان واقدم سابور من بينهم فدخل فاستدل اردشير بدخولهِ عليهِ واقدامهِ وجرأتهِ انهُ ابنهُ »

وذكر المسعودي في مروج الذهب ان هرون الرشيد كان اول من لعب بالكرة والصولجان من الخلفاء . وشاع هذا اللعب بعد ذلك بين السلاطين والامراء والخاصة من المسلمين في مصر والشام والعراق ولم يزل شائعاً بين الاتراك والجراكسة في بر الاناضول الى هذا اليوم . وكان اكثر الناس ولعاً بهِ سلاطين المماليك في مصر فانشأوا لهُ الميادين وغرسوا حولها البساتين وصاروا يركبون اليها ويلعبون بالكرة . فمنهم الملك الصالح نجم الدين ايوب فقد ذكر المقريزي انهُ انشأ الميدان الصالحي بارض باب اللوق وصار يركب اليهِ ويلعب فيهِ بالكرة وما برح هذا الميدان تلعب فيهِ الملوك بالكرة من بعد الملك الصالح الى ان انحسر ماء النيل من تجاههِ فانشأ الملك الظاهر بيبرس الميدان الظاهري في طرف ارض باب اللوق وما زال يلعب فيهِ بالكرة هو ومن بعدهُ من ملوك مصر الى ان كانت سنة اربع عشرة وسبعمائة فانشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون ميدان سرياقوس (وهي في جهة القناطر الآن) سنة ٧٢٣ وكان يخرج اليهِ في كل سنة ويقيم بهِ الايام ويلعب فيهِ بالكرة الى ان مات فعمل ذلك اولادهُ من بعدهِ . فكان السلطان يخرج في كل سنة من القلعة الى الميدان الناصري على النيل ومعهُ جميع اهل الدولة من الامراء والكتاب وقاضي العسكر وسائر ارباب الرتب ويسير الى السرحة بناحية سرياقوس وينزل بالقصر ويركب الى الميدان هناك للعب الكرة ويخلع على الامراء وسائر اهل الدولة ويقيم في هذه السرحة اياماً ولم يزل هذا الرسم مستمرًّا الى سنة ٧٩٩ . وانشأ الملك الناصر ميداناً آخر في القلعة سنة ٧١٢ وكان ينزل اليهِ ويلعب فيهِ بالكرة مع امرائهِ بعد انفضاض الموكب

وقد قتل كثيرٌ من الامراء بلعب الكرة فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٥٥ ان قايماز الارجواني امير الحج سقط عن الفرس وهو يلعب بالكرة فمال مخهُ من منخريهِ واذنيهِ فمات . وجاء في تاريخ ابن اياس ان الملك السعيد محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس كان يلعب بالكرة في ميدان قلعة الكرك « فتقطر » بهِ الفرس فانكسر ضلعهُ فمات من يومهِ وذلك سنة ٦٧٨ هجرية

ولم يزل المماليك والانكشارية يلعبون بالكرة والصولجان الى ان بادوا فنسي هذا اللعب في مصر والشام لكنهُ لم يزل معروفاً في بر الاناضول الى هذا اليوم كما اخبرني بعض ادباء الاتراك

وكان للعب الكرة شأن عظيم عند ملاطين المماليك وامرائهم فكانوا يعينون اميراً لحفظ الصوالجة والاعتناء بها منهم الامير حسام الدين الجوكاندار او الجوكاندار اي صاحب الجوكان وقد فسّرها صاحب كتاب الانشاء قال «الجوكان دار هو الذي يحمل الجوكان وهي عصاً مدهونة طولها نحواً من اربعة اذرع ورأسها خشبة مخروطة محدودبة تنيف

لعب الكرة والصولجان عند الفرس

عن نصف ذراع» . فالجوكان هو ما يسميه الانكليز Polo stick والفطة فارسية قديمة الاستعمال في تلك اللغة وهي في الاصل چول گان من چول مخرز وگان اداة نسبة فخففوها وقالوا چوگن . والجوكان هو الصولجان بالعربية معرّب چوگان بالفارسية قيل ان خفف الفرس هذه الفطة . وقالوا ايضاً الصولج والصولجة والصوجان وكلهُ معرّب چوگان او چوگن وهو عصاً يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب كما في التهذيب . والصولجان ايضاً عصاً كان يحملها الملوك وهي من شعارهم كالتاج

اما الروم فاخذوا لعب الكرة عن الفرس كما مرّ وسموهُ چوگانيون من چوگان بالفارسية

ومن الرومية اشتقَّت لفظة chicane الفرنسوية في بعض معانيها (١)

وقد ورد ذكر الجوكان كثيراً في تواريخ الفرس واشعارهم اخصها كتاب الملك (شاهنامه) الذي نظمهُ شاعرهم الفردوسي للسلطان محمود الغزنوي في القرن الرابع للهجرة فوصف لعب الكرة والصولجان وصفاً بديعاً وذكر ان الامير سياوش بن كيكاوس كان يلعب بالكرة والصولجان . ويرجع ذلك الى زمن بعيد في تاريخ الفرس لا يعرف تمامًا لكنهُ كان قبل المسيح ببضع مئات من السنين وفي اكثر نسخ «شاهنامه» المصوَّرة رسوم بديعة الشكل تمثل سياوش يلعب بالكرة والصولجان . والرسم الذي في هذه المقالة منقول في الاصل عن نسخة قديمة من ديوان حافظ احد شعرائهم كتبت سنة ٩٥٦ هجرية الموافقة لسنة ١٥٤٩ مسيحية . والفردوسي اقدم من ذلك كثيراً لكني لم اتمكن من نقل صورة عن كتابهِ الاَّ ان هذا الرسم كافٍ لان يعرف منهُ ان لعب البولو عند الانكليز ليس سوى لعب الكرة والصولجان المعروف عند العرب والفرس من قبلهم من عهد بعيد . ويحتمل ان الفرس اخذوا لعب الكرة عن الترك لاسيما اذا صح قول المرحوم رفيق باشا الصدر الاسبق في معجمهِ التركي ان كلمة جوكان تركية الاصل وليست فارسية بل مشتقة من مصدر جوكمك اي الانحناء والضغط وقد اخذها الفرس عن الترك . وهذا غير بعيد فالخيل نشأت اولاً في اواسط اسيا والامير سياوش الذي ذكرهُ الفردوسي اقام في بلاد الترك وتزوج ابنة ملكهم ولعلهُ تعلم لعب الكرة هناك . لكن الفرس يعتمدون اشدَّ الاعتماد على الفردوسي ويعرفون عدد الالفاظ العربية والتركية في ديوانهِ ويقولون ان هذه اللفظة فارسية ثم ان وجود اللام في الصولجان العربية مما يدل على ان اللفظة فارسية كما مر . وقد اصبت في ذكر اصل اللفظة بناء على خطب صديقين هما الدكتور ميرزا مهدي خان زعيم الدولة ورئيس الحكماء ومن علماء الفرس المشهورين وعزتلو يوسف صانع بك من موظفي الحربية ومن ادباء الترك المعوَّل عليهم وكلٌّ منهما تمسك برأيهِ

فلعب الكرة والصولجان قديم جدًّا ولا يزال معروفاً في بلاد التبت واليابان والهند والافغان وقد نقلهُ الافرنج من الشرق كما يستدل من اسمهِ باليونانية البيزنطية اي جوكاتيون واللفظة الفرنسوية Hocame وان يكن قد تغيَّر معناها الآن ثم في امرهِ عند الافرنج الى ان اعادهُ الضباط الانكليز فعثروا من عهود ولعبوا بهِ لاول مرة في بلاد الانكليز سنة ١٨٧ وانتشر بينهم انتشاراً كبيراً ولهم فيهِ مؤلفات كثيرة . اما لفظة بولو الانكليزية فيظن انها من بولو بلغة التبت ومعناها كرة

امين المعلوف

(١) قالهُ كاترمير في تاريخ المماليك